

الحلقة الثانية

سلسلة: من يقول الناس إني أنا؟

أنوار كاشفة

" أنت هو المسيح ابن الله الحي "

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم ما كنا قد بدأنا به في اللقاء السابق، عن حقيقة شخصية المخلص المسيح، وإن كان هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم شخصية مختلفة؟

وكنا قد تأملنا في سؤال المسيح لتلاميذه: من يقول الناس إني أنا ابن الإنسان؟ وإجابة التلاميذ عنه. وكما لاحظنا فقد قال المسيح عن نفسه أنه ابن الإنسان، لأنه كلمة الله الأزلي الذي تجسّد وصار إنسانا. فقد أجاب التلاميذ أن بعض الناس يقول عنه أنه يوحنا المعمدان، أي النبي يحيى. وتأملنا بالأسباب التي دعتهم إلى ذلك. أما البعض الآخر من الناس فقد ظن أنه النبي إيليا، وآخرون النبي إرميا أو واحد من الأنبياء.

لكن المخلص المسيح عاد وسأل تلاميذه: " وأنتم من تقولون إني أنا؟ فاجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحي. فاجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا. إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات. (بشارة متى ١٦: ١٥-١٧) كان لا بد للمسيح أن يسأل تلاميذه المقربين منه عن نظرتهم إليه، بعد أن سمع منهم عن أفكار الناس عنه. فلقد عرف التلاميذ المسيح عن قرب وبصورة مختلفة عن باقي الناس، وربما اكتشفوا حقيقة شخصيته ومن هو.

لكن الأمر الملفت للانتباه ليس هو جواب الرسول بطرس الذي اعترف أن المسيح هو ابن الله الحي، بل تعليق المسيح على جوابه. إذ أعطاه الطوبى وقال له: إن لحما ودما لم يعلن لك لكن أبي الذي في السموات. وبتعبير آخر يصعب جدا على الإنسان أن يعرف حقيقة شخصية المسيح ما لم يعلن له الله الآب ذلك. لقد عرف التلاميذ المسيح عن كثب، ومع ذلك فقد كانوا بحاجة إلى إعلان إلهي ليدركوا حقيقة شخصيته، ومن هو. أجل، لقد كشف الله الآب للرسول بطرس عن حقيقة شخصية المسيح. فهو ليس مجرد نبي كباقي الأنبياء، ولا رسولا عظيما، لكنه هو المسيح المخلص المنتظر الذي وعد بقدمه الأنبياء قديما، وهو ابن الله الحي.

فما هو المقصود بتعبير ابن الله؟ من المعروف أن هذا التعبير يثير اعتراضات كثيرة ، وي طرح تساؤلات عديدة من قبل الكثيرين. فماذا يعني تعبير ابن الله؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه في لقاء اليوم.

لنلاحظ أن تعبير ابن الله لم يصدر أولاً عن المسيح نفسه بل عن الله. ولم يكن إعلان الله الآب للرسول بطرس عن حقيقة شخصية المسيح، هو الإعلان الأول في هذا المجال، بل سبقته عدة إعلانات. فعندما أرسل الله الملاك جبرائيل ليبيشر العذراء مريم أنها ستحبل وتلد ابناً تسميه يسوع، قال لها: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك فذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله." (بشارة لوقا ١: ٣٥)

ومرة ثانية عندما اعتمد المخلص المسيح على يد يوحنا المعمدان، والمعروف بالنبى يحيى، إذا بصوت خرج من السموات، أي من عند الله الآب قائلاً: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت." (بشارة متى ٣: ١٧) ولقد تكررت نفس العبارة على جبل التجلي، عندما أخذ المسيح ثلاثة من تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا إلى جبل عال. فتغيرت هيئة المسيح قدامهم، وأضاء وجهه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور. وإذا بالنبيين موسى وإيليا يظهران ويتكلمان مع المسيح. وإذا بسحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً عن المسيح: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت. له اسمعوا." (بشارة متى ١٧: ٥)

يبدو واضحاً من كل هذه الحوادث والإعلانات التي دونها لنا الإنجيل المقدس، أن الله الآب هو الذي أطلق على المسيح تعبير ابن الله. وأن هذا التعبير ليس من ابتداء المخلص المسيح، لكنه يعبر عن حقيقة شخصيته. لقد كان المسيح بالفعل إذن هو ابن الله. مرة أخرى نسأل: ما هو المقصود بتعبير ابن الله؟ وهل هذا يشير إلى أن الله تزوج وأنجب ابناً؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه الآن.

للإجابة عن السؤال ما هو المقصود بتعبير ابن الله، لا بد لنا أن نؤكد منذ البداية أن لقب ابن الله لا شأن له بالولادة الطبيعية. فإله واحد أحد لم يلد ولم يولد، ولا شركاء له أو مساوين، ولا زوجة له ولا ابناً، حاشا وكلا. وبما أن الوحي يعلن أن الله روح، فإن الروح لا يتناسل. لذلك فإن إطلاق تعبير الابن على شخص المسيح المخلص لا يقصد به البتة المعنى الجسدي، بحسب مفهوم الطبيعة البشرية، الذي قد يتبادر إلى أذهان البعض. إن المقصود إذن بتعبير ابن الله هو المعنى الروحي، الذي يتوافق مع كون الله روح. وهذا هو السبب أن المسيح لا يدعى "ولد الله" بل "ابن الله". لأن التعبير الأول يدل بصفة عامة على التناسل، أما الثاني فكثيراً ما يستعمل للدلالة على المركز أو المقام.

ويخبرنا العهد الجديد من الكتاب المقدس بكل وضوح أن المسيح دُعي بالابن، لأنه هو الذي يعلن الله ويظهره، أو هو بالحري الله معلنا وظاهراً، ولهذا قال الوحي عن المسيح أنه صورة الله غير المنظور. أي أنه الحامل صفات الله والمعبر عنه في هيئة إنسان. والبنوة في لغتنا البشرية تدل مجازياً على المشابهة في الصفات أو الخواص. وذكر الوحي في مكان آخر عن المسيح أنه بهاء مجد الله ورسم جوهره. أي أنه الضوء المرئي الذي يُظهر مجد الله غير المرئي، والرسم المدرك الذي يعلن جوهر الله غير المدرك. إن المسيح إذن هو الذي يعلن الله ويظهر مجده لنا نحن البشر الخاطئة. وبهذا المعنى فهو ابن الله.

وكتب البشير يوحنا عن الكلمة الأزلي قائلا: "والكلمة صار جسدا وحلّ بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحد من الآب مملؤا نعمة وحقا.. الله لم يره أحد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خير." (بشارة يوحنا ١: ١٤، ١٨) إن المسيح هو أيضا ابن الله بكونه كلمة الله الأزلي، الذي تجسد وصار إنسانا، ولهذا كانت ولادته تختلف عن باقي البشر، إذ حُبِلَ به من الروح القدس في أحشاء العذراء مريم. وهكذا حمل الطبيعتين الإلهية والبشرية. إن قولنا أن المسيح المخلص هو كلمة الله الأزلي المتجسد، الذي أعلن مجد الله، يؤكد أنه ابن الله الوحيد. فهو ابن الله بهذا المعنى الروحي، وليس ابن الله بالمعنى الجسدي البشري. مع التأكيد أن الله واحد.

لقد أكدت أعمال المسيح العجائبية الباهرة بدون أدنى شك أنه فعلا ابن الله. فأقام المسيح الموتى، لا بل أقام لعازر بعد أن بقي في القبر أربعة أيام، وقد أنتن جسده. فمن له القدرة على إحياء الموتى سوى الله تعالى؟ والمسيح كابن الله صنع معجزات الشفاء العديدة، فأعاد البصر إلى العميان، وأقام المقعدين والمفلوجين، وأنطق البكم وأعاد السمع. وأطعم ألوف الناس بواسطة خمسة أرغفة شعير وسمكتين. والمسيح كابن الله هدأ الأمواج الصاخبة وانتهر الرياح، وقال للبحر أسكت ابكم. وهل هناك غير الله من هو قادر على إسكات الطبيعة والسيطرة عليها. وهو كابن الله كان يعلم بالغيب، وما يوجد في أفكار الناس وقلوبهم.

وكان المسيح كابن الله يعلم بسلطان إلهي واضح. ولهذا كان يكرر القول: قد سمعتم أنه قيل للقديس، وأما أنا فأقول لكم. فبالمقارنة مع شريعة موسى التي أتت من الله مباشرة، كان يقدم تعليمه كتكميل لها. وأخيرا لا أخرا كان المسيح يقول عن نفسه أنه الطريق والحق والحياة، وأنه نور العالم، وأنه خبز الحياة والماء الحي، وأنه القيامة والحياة. فلو لم يكن المسيح هو ابن الله الذي يعلن الله فكيف يقدر أن يدعي كل هذه الإدعاءات التي هي من صفات الله وخصائصه؟

نتركك الآن مستمعي الكريم، على أن نعود إليك في اللقاء القادم لمتابعة هذا البحث الهام.